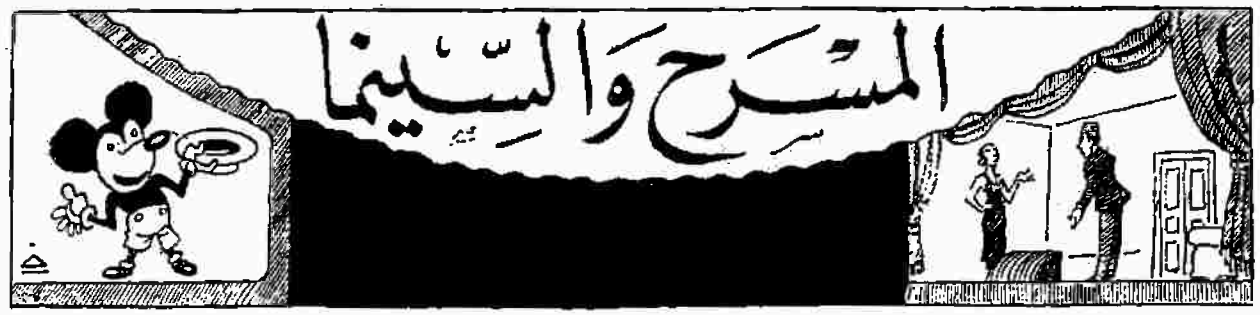

هنرى إيرفنج HENRY ERIVNG

١٨٣٨ - ١٩٣٨

بقلم محمد على ناصف

منذ مائة عام فى مثل هــذا الشهر من اليوم الـسادس على الترجيح كان مولد الطفل جون هنرى بردريب ، ولم يكن بعد « هنرى إيرفنج »

ولد فى سومرست ، وقضى سنيه الأولى الباكرة فى كورنوول. وفى الحادية عشرة انتظم بإحدى مدارس التجارة بلندن وتركها بعد سنتين ليلتحق بأحد مكاتب المحاماة حيث كان من المأمول أن يكون كاتباً نابهاً . وبعد عامين آخرين (١٨٥٣) حدث له وهو فى الخامسة عشرة مثل ماحدث للممثلين العظيمين تالما وكين فظهرت دلالات ميوله إلى المسرح

وقد أشبع هوايته بعض الشبع بتعرفه بعد عام إلى وليام هوسيكنز الممثل الذى تلقى عليه هنرى أول دروسه فى التمثيل فيما بين الثامنة والتاسعة من صباح كل يوم قبل ذهابه إلى العمل .

ظل هنرى طوال مدة عمله بمكتب المحاماة نهبا موزعا بين وساوس أحلامه وزخارفها ، بين جحيم الكتب ونعيم المسرح ، فكان يجلس إلى مائدة الكتابة ينسخ الصحائف وبدون الأرقام..

متحف لمكسيم جوركى

افتتح أخيراً فى موسكو متحف ضخم لآثار الكاتب الروسى الأشهر مكسيم جوركى ؛ وقد توفى هذا الكاتب الكبير منذ نحو عامين ، وترجمته الرسالة فى حينه . ويضم المتحف الجديد أحد عشر بهواً عرض فيها كل ما يتعلق بحياة جوركى وكتبه ومخطوطاته وآثاره المختلفة ، وخصص فيها بهو لقطعه المسرحية ، عرضت فيه نماذج من أشخاص مسرحياته . وقد خصت حكومة موسكو جوركى بهذا التكريم باعتباره « عميد الأدب السوفيتى الاشتراكى الجديد وزعيمه » . والواقع أن جوركى هو أعظم كتاب الثورة الاشتراكية بلا نزاع ، كما كان تولستوى فى أواخر القرن الماضى أعظم كتاب الثورة الاجتماعية الروسية . وقد عرض قضية العمال وبؤس الطبقات العاملة فى قصصه أقوى عرض . ومما تجدر ملاحظته أن الحركة الأدبية فى روسيا الإشتراكية تبوأت مكانتها من القوة والازدهار ، ولم تتعرض لها الحكومة بأكثر من التوجيه نحو الغايات الثورية التى تطبع سياستها الاقتصادية والاجتماعية ، ولم تلق شيئاً من ذلك الاضطهاد الشامل الذى قضى على الأدب الألمانى فى ظل النظام الهتلرى

ولـكنه كثيراً ما كان يحس بجاهة بجمهور كبير من حوله ، من الحسان ، ومن الكبار ، يتطلع إليه ، ويصفق له ، فيهيم فى أودية الخيال ويقفز من لباس إلى لباس ، ومن مكان إلى مكان ، ومن شخص إلى شخص ، ومن عصر إلى عصر ... ذلك نعيم المسرح

(فترة راحة صغيرة)

« أكتب هذا ثانية يا سيد برودريب لو تفضلت »

(شخص أقبل ثم ذهب . سكون مخيم قابض)

وسرعان مايهبط السيد برودريب من حالق . سرعان ما تتبخر الأحلام وتتجسم الحقائق ، وتتكدس الأوراق أمامه ، وتتراجع الـكلمات الحارة من فوق شفتيه لينطق بجملة واحدة مريرة ... « هذا جحيم المـكتب »

ولم يطل تردده بين نعيمه وجحيمه . فذات مساء فى أواخر يولية سنـة ١٨٥٦ كان وليام هوسكينز جالساً أمام نار المدفأة مستغرقاً فى بعض شئونه ، وإذا بطرق متواصل على بابه لم يدعه طويلاً رب الدار الذى أسرع نحو الباب ، فإذا به يجد الطارق تلميذه هنرى ، وقد بدا مشرق الوجه بنور باهت هادىء أوضح ما يرى على وجه تخلص صاحبه من عذاب طويل .

علم الأستاذ أن تلميذه قد انتهى من الاختبار ، وأنه اختار النعيم الذى ارتآه

وقد ودعه هوسكينز فى ذات الليلة بعد أن سلمه خطاباً قضه هنرى فى الطريق فطرب من كلمات الثناء التى قدمه بها معلمه إلى ا . د . دافيز بمسرح الليسام Ly ceum بسندرلاند . ولم يكن فى تقدير هوسكينز أو هنرى أو دافيز أو أى أحد أن هذا الزائر الجديد سيصبح مدير الليسام وأحد قادة المسرح فى جميع العصور

وفى ١٨ من سبتمبر عام ١٨٥٤ رفع الستار لأول مرة على هنرى كممثل محترف . وكانت كلمات المسرحية الأولى « إنا نبدأ المسى » ... ولم تكن بداءة مشجعة لهنرى ، فقد نصحه بعض الناقدين وتنئذ بمغادرة المدينة على أول باخرة فاستجاب إليهم ، ولـكن ليواصل جهاده فى أدنبره حيث قوبل فى أول الأمر بالصفير والهزء كممثل طريد ، ولـكنه سرعان مانقض هذا الحـكم ، وسرعان ما أصبح نجم الليسام وأحب ممثل إلى الجماهير

ولقد مثل فى هذه الفترة ٤٢٩ دوراً مختلفاً فى ٧٨٢ يوماً ، وهذا رقم قياسى فى تاريخ كبار الممثلين . مثل فى جميع أنواع المأساة والملهاة : مثـل الدئب فى Little Bo. Peep وأوجور فى Puss - in - Boots وكاسيوفى Othello وسيلفيو وأورلاندو فى As You Like Et وسبعة أدوار مختلفة فى Hamlet

وفى عام ١٨٧١ ظهر لأول مرة على الليسام بلندن وصار من ذلك الحين « هنرى ايرفنج »

وقد عزى إلى إيرفنج أنه لم يكن يحفل باختيار ممثلين تتكافأ صفاتهم مع صفته ومكانته ، حتى قال برنارد شو فى إحدى مقالاته فى النقد سنة ١٨٩٧ : « إن المرء فى الليسام ممرض للجنون فى الفترات التى يخلو المسرح فيها من هنرى إيرفنج وأليس يترى » غير أن هناك من ينتحل الأعذار لإيرفنج فى هذا الصدد لاشتغاله ممثلاً ومديراً ومخرجاً فى آن واحد ؛ فلم يكن يستطيع فوق ذلك أن يتفرغ لشئون تلاميذه وممثليه . ومن هؤلاء المدافعين عن هذه النظرية Dame May Whitty التى سافرت إلى هوليوود قريباً ، وكانت فى صباها من ممثلى الليسام ...

وعلى ذكر شو تقول إنه من الـكتاب القليلين الذين اجترأوا على نقد إيرفنج ؛ وكان أكثر ما يأخذه عليه مسخه لشكسبير وإهماله لإبسن . ففى شكسبير كان شو يعتقد أن الجماهير تذهب لمشاهدة إيرفنج لا من أجل الـكاتب الانجليزى الـكبير . وأما مسرحيات إبسن فقد كان إيرفنج يتخلى عنها لألين بترى وجنفياف وارد فى الأدوار الرئيسية

ومهما قيل فى إيرفنج فليس هناك من ينكر فضله بين زعماء المسرح الخالدين

ولقـد قدر أخيراً لجون هنرى برودريب ابن أحد فلاحى سومرست أن يلقى مضجعه الأخير فى وستمنستر آبى مقر عظماء الانجليز باسم « سير هنرى إيرفنج » وأن يكون الممثل الوحيد الذى يقام له تمثال فى لندن يحج إليه فى السادس من هذا الشهر كبار ممثلى انجلترا يحيون أعظم رجل عرفه المسرح الانجليزى

محمد على ناصف

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى رقم ٧